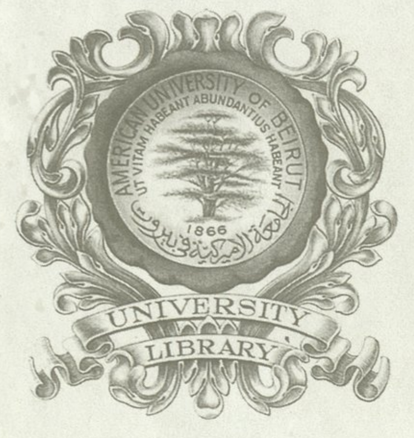
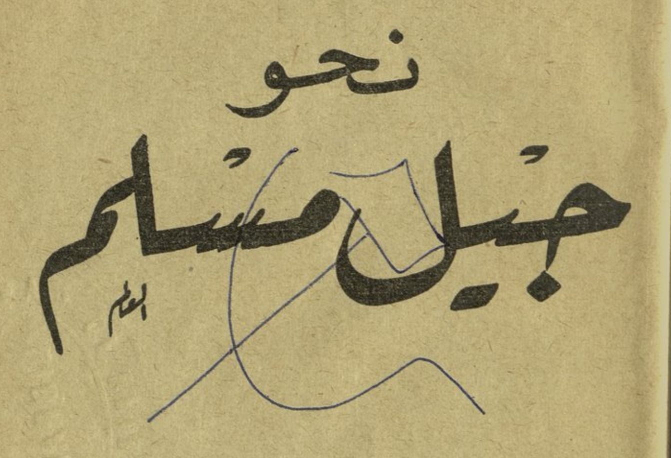


نحو جيل مسلم

قسم الأسر

ذو الحجة ١٣٧٣ — أغسطس ١٩٥٤


AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت
UNIVERSITY
LIBRARY



ذو الحجة ١٣٧٣

أغسطس ١٩٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

نواة هذه الرسالة محاضرة ألقيت فى مدرسة النقباء بالمركز العام بالقاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٥٣ وتشمل ثلاث نقاط :

١ — الإخوان والمجتمع .

٢ - الإسلام بين القوى الاستعمارية .

٣ — خطوط عملية .

وليس من اليسير الوفاء بحق البحث التفصيلى لكل من هذه النقاط ؛ وإنما هى إشارات سريعة تصلح لأن تكون رءوس موضوعات وخط سير يستعين به إخوان الأسر فى اجتماعاتهم ، وقد وجهت أكبر الاهتمام نحو الواجب ، وما أحرانا أن نهتم بواجباتنا كما نهتم بحقوقنا .

والله نسأل أن يعصمنا من فتنة القول والعمل ، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه لا نريد به علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .

قسم الأسر

الأخوان والمجتمع

تمهيـــد :

تعلمون أيها الإخوة أن هدف الإخوان تكوين جيل من المسلمين يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ، ويعيش به ، ويجاهد فيه ، ويجمع العقول والقلوب عليه ، ويقيم حضارة تستند إلى أسسه وتحقق أهدافه . ونحن فى هذا متبعون لا مبتدعون ، لم نأت بشىء من عند أنفسنا ، وإنما نحاول التحقق بالإسلام أفراداً وجماعة . ووضوح هذا الأساس يساعدنا كثيراً على اتباع الكتاب والسنة وهدى سلفنا الصالحين :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما »(١) .

ولقد كان لجهود الإخوان آثار واضحة فى المجتمع المصرى والإسلامى أود أن أجمل بعضها فيما يلى : —

١ — تجميع الشباب المتعلم :

ففى نظمنا التعليمية المصرية يتميز تياران :

ا — دينى : يمثله الأزهر بتاريخه الحافل الطويل وكلياته ومعاهده فى القاهرة والأقاليم وأبنائه الذين يتجمعون من مشارق

---

(١) النساء : ٦٩ — ٧٠

الأرض ومغاربها ؛ يقضون فى رحابه فترات تطول أو تقصر ، ثم يندفعون من هذا القلب دماء حارة تغذى العالم الإسلامى .

ب — ومدنى : تمثله الجامعات ومجموعة ضخمة من المدارس والمعاهد منتشرة فى القطر . وتستقبل جامعاتنا الآن أعداداً كبيرة من أبناء العروبة والإسلام يتثقفون بثقافتها ويتأثرون بطابعها .

وقد حاول الاستعمار - تؤيده فى ذلك عهود الظلم البائدة - أن يوقع العداوة والبغضاء بين شباب الأمة المتعلم ، وأن يوجد فجوة بين النظامين لا يُرجى معها اتفاق ولا تعاون ، وظهر من أبناء الجامعات من حمل أعنف الحملات على الأزهر ، ومن أبناء الأزهر من اشتد فى هجومه على الجامعات ، وسالت أنهار الصحف بمقالات نارية عن التجديد والجمود ، والتقدم والرجعية ، والإيمان والإلحاد ، خرج بعضها عن مجال البحث العلمى إلى المهاترات والفكاهات والدسائس ، ونفخ فى كور الفتنة صحفيون متحللون وكتّاب إباحيون .

ورغم هذا الغبار المتطاير كان هناك نفر من أبناء الأزهر والجامعات حافظوا على الدين حيا فى نفوسهم وعقولهم ، وتكونت منهم طليعة نرجو أن تمدها الأيام بما يدعمها فى الروح والعدد والإنتاج .

وقد ظل أثر هذه الطليعة قاصراً - إلى حد بعيد - على المجالات العلمية دون أن يصل إلى توثيق الصلات العامة بين كتل المتعلمين نفسها ، وقام الإخوان - ولله الحمد والمنة - بجانب كبير فى هذا

الأمر ، واستطاعوا أن يقيموا المعابر فوق الهوة السحيقة ، وهأنتم أولاء ترون فى اجتماعاتكم - أيها الإخوة - كيف يتعاون شباب الأزهر والجامعات من أجل الهدف الواحد ، ويعطى كل أخ إخوانه من خير ما عنده ، وعشتم معاً فى الشعب والمعسكرات ، وسكنتم معاً ، وجاهدتم معاً . وذلك من فضل الله عليكم وعلى الناس « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم »(١) .

٢ - تجميع الأمة :

واتسمت حركة الإخوان من أول الأمر بجمع العناصر الصالحة من أبناء الأمة جميعاً ، وفى اجتماعاتنا ترى الغنى والفقير ، والموظف والعامل ، والمتعلم والأمى ، وأستاذ الجامعة والطالب ، والشيخ والشاب ؛ يجمعهم حب الإسلام والرغبة الصادقة فى تعلمه والعمل به ونشره بين الناس .

٣ - الاتجاه التطبيقى :

ولم يكتف الإخوان بالحديث عن الإسلام وتصويره ، وإنما حاولوا من أول الأمر تطبيقه على أنفسهم . ولعل هذه الناحية كانت من أقوى ما جمع القلوب عليهم .

---

(١) الأنفال : ٦٣

وجاءت معارك فلسطين والقنال نماذج كريمة لجهاد الإخوان ، وتقدم زهرة شبابهم من أبناء الجامعة والأزهر والعمال والزراع ، فخاضوا المواقع معاً ، وهناك على سفوح جبال فلسطين ووديانها ، وفوق رمال القنال اختلطت دماؤهم وأشلاؤهم .

وأخذت حياة الإخوان مظهراً عملياً فى تكوين الأسرة المسلمة ، وتنشئة جيل من الأبناء على حب الإسلام والعمل به ، وأصبح الرضيع يسمع كلمة الإسلام فى مهده ، ويهتف بها الصبى فى ملعبه ، ويجاهد لها الشباب فى مجالاته ، ويبشر بها الشيخ ويسلمها أمانة عزيزة لجيل مقبل .

وعند ما ابتلى الإخوان بعد معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وفتحت السجون والمعتقلات أبوابها تتلقى زهرة شباب الأمة ، وحيل بين الأب وولده ، والشاب وأهله ، والطالب ومعهده ، والعامل ومصنعه ، والزارع وحقله ؛ كان الإخوان يقتسمون مؤنهم ، وتقدمت الأخوات فى تلك الأيام التى لطخها الظلم - تحفظهن عين الله التى لا تغفل ولا تنام - يحملن العزاء إلى قلوب أرهقها البلاء ، والمال إلى بيوت غاب رجالها ، فكن نجوماً مضيئة أشرقت فى ليل حالك الظلام .

وجاء تاريخ المحنة ثباتاً فى ميادين متنوعة البلاء افتقدت الثابتين من وقت طويل ، واحتمالا كريماً للأذى خشع أمامه بصر الجلاد ، وفناء فى ذات الله عز على فتن الأرض أن تستهويه ، وعاش الإخوان فى « الليمان » يجرون سلاسلهم ، وفى السجون تقطع السياط ظهورهم ،

وفى المعتقلات يحوم الموت حولهم ، وفى المنافى يسلمهم المهجر إلى مهجر..

عاشوا فى هذه الفترة لا يرجون إلا وجه ربهم ذاكرين قول نبيهم عليه الصلاة والسلام : « إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى »[1] .

٤ – الثقافة الإسلامية :

وبينما كان جمهور شباب الأمة لاهياً فى الروايات الرخيصة ، والقصص التافهة التى تخاطب الغرائز وتستثير الشهوات ، قَوِىَ اتجاه إسلامى يضع فى أيدى الأبناء كتب الأبوة الماجدة ، وتعلم شبابنا كيف يحسن تلاوة كتاب الله ، ويطلع على كتب التفسير والحديث والتشريع والتاريخ الإسلامى ؛ يستمد من ذلك كله أسس اتجاهه فى حياته ، محاولا أن يوجه الحياة إلى الهدى الذى وضعه رب الناس للناس ، محتفظاً بموقف متزن بين ماض كريم وحضارات مقبلة ؛ يأخذ خير مافيها ، ويحول دون طغيان مفاسدها على أرضه وعقله ، واستطاع الإخوان أن يقوموا بقسط كبير فى تدعيم الاتجاه الإسلامى ، وأوجدوا صحافة إسلامية ومؤلفات إسلامية ، وعقولا تجعل الإسلام محور تفكيرها .

صحيح أن هذه العقول لم تتجمع فى مدرسة فكرية اتضحت مناهجها ، وأن عدداً كبيراً من الذين يعملون بإخلاص فى هذا الميدان

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦١ ط الحلبى .

لا زالوا شباباً محتاجين إلى صقل وطول تمرّس ورعاية ، ولكن الذى لا ريب فيه أن بذوراً كريمة ألقيت فى الأرض الطيبة ، ورواداً مخلصين يجوبون منطقة الكنز القديم ، ويحاولون أن يذودوا الطير الغريب عن أرضهم ، وأن يطهروا ديارهم للصالحين .

٥ ـ العالم الإسلامى :

وعبرت الموجة المؤمنة حدود مصر يحملها جهاد الإخوان ، ويبشر بها شباب العالم الإسلامى من أبناء الأزهر والجامعات ، وبدأت تتساقط أستار القوميات الضيقة أمام الإسلام الزاحف ، وأصبحنا نرى فى مجتمعاتنا الشباب الإسلامى من إفريقيا وآسيا وأوربا لا تستخفهم عصبيات محلية ، بل يجمع بينهم الإسلام ، واستروحنا العبير الجميل الذى يتضوع حين نقرأ قول الرسول عليه السلام ؛ واصفاً تجمّع الدنيا وإخاءها فى المجتمع الإسلامى الأول « أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبش »[١] .

وبدت مظاهر التعاون الثقافى بين الإخوان والهيئات الإسلامية العاملة ، فنقلت إلى العربية مؤلفات السيد أبى الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية بباكستان ، ونشرت بعض آثار المرحومين السيد

---

(١) رواه الحاكم عن أنس « الجامع الصغير للسيوطى ج ١ ص ١٠٧ ط الحلبى » .

سليمان الندوى(١) ، والسيد مسعود الندوى ، كما ترجمت فى باكستان والهند وأندونسيا بعض رسائل الأستاذ البنا رحمه الله ، وبعض رسائل كتّاب الإخوان .

وتعاونت الهيئات الإسلامية معاً فى القضايا الإسلامية ، وأصبح المركز العام مثابة للعاملين ؛ يجدون فيه رجالا يحبون أن يعملوا لدينهم ، وتنعكس على نفوسهم آمال الأمة الإسلامية وآلامها .

الأمة الإسلامية

(١) مثال ذلك (الرسالة المحمدية) للسيد سليمان الندوى وهى ثمانى محاضرات فى السيرة النبوية ، ورسالة (الإسلام) وهى رسالة ممتازة نشرها المركز العام عام ١٣٧٢ هـ ويحسن أن يقرأها الإخوان فى اجتماعات الأسر .

الاسلام
بين القوى الاستعمارية

وهذا الإنتاج الذى وصلتم إليـه ، إنما هو ثمرة جهودكم جميعاً ، ونتيجة طبيعيـة لإحساسكم بحق الله عليكم ، فأنتم تعملون من أجل دينكم ؛ غير طامعين فى منصب فى الجماعة ، ولا جاه بين إخوانكم أو بين الناس ، لا تخشون أحداً إلا الله ، وتقولون الحق لا تخافون لومة لائم ، لا تعبدون أفراداً ، ولا تقدسون مناصب ، ولا تعظمون إلا من عزّ فى ميزان التقوى ، ولا تُتبعون إنفاقكم منـّـا ولا أذى ـ أحسبكم كذلك ولا أزكى على الله أحداً ـ .

من قديم :

١ ــ وأود أن تذكروا دائماً موقف القوى الاستعمارية من جهادكم ، فأنتم تقابلون بعداوات مريرة من كل أعداء دينكم ؛ الذين يجدون فى الإسلام حائلا دون تحقيق مطامعهم فى أرضكم .

هذه العداوات التى تمتد جذورها إلى صـدر الإسلام حينما دبر اليهود المكيدة بعـد المكيدة ، وتعاونوا مع المنافقين والمشركين فى محاربة الإسلام . فقد حاولوا قتل النبى صلى الله عليـه وسلم بإلقاء حجر على رأسه عند ما كان فى بنى النضير ، وقدموا إليه شاة مسمومة بعد فتح خيبر . وبقى الرسول بعـدها ثلاث سنوات حتى كان وجعه الذى توفى فيه فقال « ما زلت أجد من الأكلة التى أكلتُ من الشاة يوم خيبر عداداً (١) ؛ حتى كان هذا أوان انقطاع أبهرى (٢) » فتوفى

(١) العداد : ألم يعاود فى أوقات معلومة . ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث والأثر جـ ٣ ص ٧١ .

(٢) عرق يؤدى انقطاعه إلى الموت .

رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً[1] .

وتعرض النبي صلى الله عليه وسلم من قبل لخطر الموت أكثر من مرة فى مكة والهجرة والمغازى ، وحاول اليهود التشكيك فى شخصية النبي صلى الله عليه وسلم . واقرءوا الكثير من مكائدهم فى سورة براءة ، وفيها تحليل رائع لمجتمع المدينة . وقاموا بدور كبير فى تأليب الأمصار على عثمان رضى الله عنه ، وتولى عبد الله بن سبأ اليهودى كبر هذه الفتنة ، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر ، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، فتمالئوا على ذلك وتكاتبوا فيه ، وتواعدوا أن يجتمعوا فى الإنكار على عثمان[2] . . .

وعلت الموجة المسمومة حتى طوت ذا النورين ، وسجلت فى تاريخ الإسلام صفحة دامية تركت أثرها العميق فى نفوس أبنائه .

٢ — وبعد هزيمة الفرس والروم ظلت الحروب قائمة بين أصحاب المجد القديم والدين الزاحف المنتصر ؛ تأخذ صوراً عنيفة فى ميدان القتال ، أو تتستر وراء المذاهب الهدامة التى تحاول أن تعود بالمسلمين إلى الجاهلية مرة أخرى ، ورأى الإسلام فرقاً ومذاهب يحمل أهلها اسم الإسلام ، أما عقائدهم وطقوس عبادتهم فيمكن - فى سهولة - أن تربطها بوثنيات فارس والهند ، واتجاهات المسيحية واليهودية وعقائد الإغريق والرومان .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ٢١٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٨ .

٣ — وقابل الإسلام طغيان أوربا وزحفها على دياره زحفاً بربريا ؛ وصفه كاتب غربى فقال « إن الصليبيين ارتكبوا جرائم وفظائع جعلت الطبيعة تهتز خوفاً وفزعاً من هولها ، كذلك كانوا يقتلون الأطفال فى أحضان أمهاتهم ، وينثرون أشلاءهم فى الهواء[١] » ، وجمعت هذه الحملات بين المتحمسين الذين يعتقدون فى قداسة جهادهم وبين نفر « انهمكوا فى الدعارة ، ونسوا بيت المقدس ، وراحوا يمثلون مناظر صاخبة من هتك الأعراض إلى النهب والقتل ، وكانت جميع هذه الفظائع تترك آثاراً فاضحة تدل على فعالهم أينما رحلوا[٢] » .

ولم تُفقد هذه الأحداث المسلمين اتزانهم ، فقد ظلوا على خلق رفيع يصفه كاتب غربى فيقول « إن كثيراً من المسيحيين الذين غادروا بيت المقدس [بعد انتصار صلاح الدين] رحلوا إلى أنطاكية ، غير أن بوهيمند أميرها لم يحرمهم الضيافة فحسب ، بل سلبهم أيضاً أموالهم فى حين كان هؤلاء البائسون أينما ساروا فى بلاد المسلمين يلاقون ضروب العطف والكرم » .

٤ — ويقابل الإسلام بعد هذا موجات التتار ومصائب القرامطة ؛ التى وصلت إلى أن قتلوا الحجيج وألقوا جثثهم فى بئر زمزم ، واقتلعوا الحجر الأسود ، وبقى عندهم اثنتين وعشرين سنة[٣] .

---

(١) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ص ٢٧٨ وما بعدها (الترجمة العربية) .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٨ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٦٠ .

٥ — وحينما انحسر المد الإسلامى بسقوط الأندلس اشتد الهجوم على أرض الإسلام ، واستطاعت قوى الغرب فى القرون الأخيرة أن تقتسم أرض الإسلام ؛ بعد أن مهدت لذلك ببعثات من المبشرين والمستكشفين والعلماء والتجار .

الصهيونية :

ولقد ظل اليهود على صبرهم حتى استطاعوا — بمعونة الدول الكبرى — أن يقيموا إسرائيل فى قلب العالم الإسلامى ، ولا يزالون يطالبون بملكهم القديم الذى كان يمتد من الفرات إلى النيل ، وتطلعت أبصارهم إلى نقطهم التجارية القديمة فى بلاد العرب وبصفة خاصة فى المدينة المنورة .

وهأنتم أولاء ترون تطور الأحداث فى الشرق الأوسط ، وما يحمل فى طياته من نذر . واليهود لا يعرفون الأخلاق وهم الذين يقودون حملات التحلل الأخلاقى والفجور ، ويبثون عملاءهم من علماء وتجار وراقصات وسيدات (الطبقة العليا) ، أما شعارهم فهو (« القوة والرياء » ولا يكتب الفوز فى السياسة إلا للقوة ؛ لا سيما إذا كانت كامنة بين المناقب اللازمة لرجال الحكم ، فيقتضى الأمر — إذاً — أن يتخذ العنف مبدأ ، والمكر والرياء قاعدة ، وهذا الشر هو الذى يؤدى بنا إلى الخير ؛ لذلك لا ينبغى أن نحجم عن اللجوء إلى الرشوة والخداع والخيانة فى سبيل بلوغ مآربنا ، والسياسة تقضى بالإقدام دون تردد على

اغتصاب ملكية الغير إذا كان فيها ما يؤمن لنا الخضوع والطاعة)[1].

وهذا النص يلقى ضوءاً قوياً على ما بين أيدينا من محن ، ويرينا القيمة الحقيقية لأى تفاهم « ودى شريف ! ! » مع إسرائيل ، ويحدد المنهاج الوحيد الذى يجب على الإسلام أن يتبعه إزاء الصهيونية .

الاستعمار الغربى :

ورغم كل ما ينادى به ساسة الغرب من تعاون وإنسانية عالمية ؛ فإن حقائق الأحداث التى نمر فيها ترينا ما يراد بنا وما يجب علينا ، فلا زال الإنجليز جاثمين على أنفاسنا « فى القنال » ويسيطرون سيطرة تكاد تكون كاملة على كثير من الدول الإسلامية ، وذلك عن طريق المعاهدات وكبار الموظفين الذين ينتسبون إلينا شكلا وإليهم موضوعا ، والشركات الاستغلالية الكبيرة خصوصاً فى نواحى الثروة المعدنية والزراعية ......

والجندى على استعداد إذا لزم الأمر : فقد دفعت أمريكا بزهرة شبابها إلى ثلوج كوريا .

وتقود بريطانيا حرباً إرهابية فى وسط إفريقيا ، ويلقى إخواننا المجاهدون فى شمال إفريقيا أياماً دامية فى سبيل حريتهم ، ويعيش (اللاجئون) على أطراف فلسطين رموزاً حية للحضار الأوروبية ..!

---

(١) أهداف الصهيونية : تعريب فردريك رزبق ص ٧ . وهذا الكتاب مجموعة محاضرات عن (مناهج حكماء صهيون) وقد ألقيت فى مؤتمر الجمعيات الصهيونية الذى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م . وكانت معتبرة من أخطر الوثائق السرية للصهيونية وأحدث نشرها ضجة كبيرة .

بين المعسكرين :

وقد كاد النزاع فى العالم القديم يفرغ بين المعسكرين الكبيرين على الوحدات السياسية خارج العالم الإسلامى ، وستبقى أرضنا ميدان الصراع المقبل ؛ يساعد على هذا وضعها الجغرافى ، وامتدادها كالمعبر الضخم بين المحيطين الأطلسى والهادى ، و (البترول) الكامن فى أرضها ، وملايين البشر الذين يضطربون فوقها ، والعقيدة القوية التى يعتنقها أهلها ، ويجتهدون فى نشرها خصوصاً فى قلب إفريقيا ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن مستقبل السلام مرتبط بالإسلام ، وإن عقيدتنا هى التى تملك ـ وحدها ـ مقومات البقاء الحقيق لو وجدت رجالا ! !

ماذا يقولون عنا ؟

من أجل ذلك تدرس هـذه المعسكرات العالمية الوعى الإسلامى دراسة دقيقة ، وتهتم بالحركات العاملة له ، ومما يدعو إلى الأسف ـ وإن كان لايدعو إلى العجب ـ أن نرى الهجوم السافر على الإخوان المسلمين فى مؤلفات (علماء) أبسط ما يفرض فيهم الأمانة العلمية ! !

وقد نظم معهد الشرق الأوسط فى واشنطن مؤتمراً فى مارس سنة ١٩٥١ ألقيت فيه بحوث كانت نموذجا لما يقولون عنا . . ومن ذلك ماجاء فى بحث الدكتور فيليب حتى عن دراسة الوحدة الإسلامية

« ويمثل هذه الرجعية أيضاً حركة الوحدة الإسلامية ، وفى حين تحاول الوحدة العربية أن تجعل من اللغة والثقافة الوحدة المشتركة ؛ فإن الوحدة الإسلامية تجعل الدين هـذه الوحدة المشتركة ، فالوحدة الإسلامية تنظر إلى الوراء والوحدة العربية تنظر إلى الأمام ، الوحدة الإسلامية تستلهم الأفكار التى ترجع إلى القرون الوسطى ، فهى مخالفة للغرب ومخالفة للديموقراطية ، والإخوان المسلمون يمثلون هذه الحركة فى أسوأ مظاهرها »(١) .

ويقول الدكتور وندل كليلاند عن الحركات القومية :

« إن بعض العناصر المحافظة تحاول أن تبذل جهداً فى توجيه هذه الحركات نحو المثل القديمة الساذجة ، فنحن نسمع أحياناً عن ظهور شخص يريد أن يكون المهدى ، وقد سمعنا منذ حين إشارات إلى حركات كالإخوان المسلمين »(٢) .

ولكن الغرب ـ برغم هـذا الهجوم ـ يعترف بأثر الإخوان فى الحياة العامة فى مصر ، ففى كتاب ضخم عنوانه « دليل الرجل الذكى فى عالم ما بعد الحرب » عقد الأستاذ « كول » ـ مؤلف الكتاب ـ فصلا عن مشكلات مصر ، وذكر فيـه أن عدم توقيع معاهدة بين مصر وبريطانيا لا يرجع إلى رفض الزعماء المصريين ذلك ، ولكن

---

(١) الإسلام فى نظر الغرب . ترجمة الدكتور إسحاق موسى الحسينى ص ١١ ، ١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٤ .

إلى ظهور « وعى وطنى دينى » يحول بين الزعماء وتوقيع معاهدة لا تحقق آمال البلاد »[1] .

وتبذل القوى الاستعمارية والطامعة جهوداً كبيرة منظمة لتهذيب الإسلام ! وتريد هدفاً من اثنين :

(١) إحلال الأفكار المادية محله كما تنادى بذلك الشيوعية ،

(٢) تحويل الإسلام إلى دين فردى كهنوتى لا علاقة له بالحياة العامة والكفاح الإيجابى ، وفى سبيل ذلك تشجع المذاهب (المستأنسة) التى لا تعرف الجهاد ، والتى تنتسب ظلماً إلى الإسلام كالقاديانية والبهائية[2] .

فنحن نؤمن أن ديننا أساس حياتنا وحضارتنا ، وهم يرون تنحية الإسلام عن وضعه الأساسى ، واعتباره مظهراً اجتماعياً إذا أصررنا على وجوده .

ويتخذ كفاحهم ضد الإسلام والحركات التحريرية صوراً متعددة ؛ نذكر بعضها فيما يلى :

١ ــ هناك ــ أولا ــ الاتجاه الدراسى العلمى الذى يرمى إلى جمع كل ما يمكن جمعه من المعلومات الدقيقة عن الحركات الإسلامية .

٢ ــ والاتجاه النقدى الذى يستتر وراء البحث المجرد ؛ ليهدم

---

(١) صدر هذا الكتاب عام ١٩٤٨ وجاء هذا النص فى ص ١٤٩ .

(٢) راجع رسالة (المسألة القاديانية) للأستاذ المودودى نشرتها بالعربية لجنة الشباب المسلم بمصر .

مقدسات الإسلام وليؤكد استحالة تطبيقه وضرورة تطويره وتهذيبه ، والتهوين من شأن تاريخنا وإرجاعه إلى أسباب مادية محدودة ، وقد رأينا نماذج من أقوال فيليب حتى ووندل كليلاند .

٣ — التبشير بمعالم حضارة جديدة لها مقوماتها الخاصة . ولكل من الشيوعيين والمعسكر الغربى ـ بفرقه المتعددة ـ مناهجه المتميزة ، ومن أوضح مظاهرها الغزو الفكرى المنظم الذى تقوم به أمريكا الآن فى العالم الإسلامى ، ويمثله الطوفان العالى من الكتب والمجلات والمبعوثين الثقافيين .

٤ — السيطرة الاقتصادية باسم المعونة الفنية ، وما وراءها من امتداد النفوذ السياسى ودوران الدول فى الفلك الاستعمارى .

٥ — الكفاح المسلح السافر الذى نراه فى كوريا وكينيا والمغرب والهند الصينية .

٦ — الإبادة المنظمة كما نراها فى مشكلة اللاجئين ، وضحايا معركة فلسطين وقضية البريمى ، وكما حدث فى ليبيا وشمال إفريقيا .

والذى لا ريب فيه أن الاستعمار — فى كل صوره — يسعده أن يتخلص من الإخوان المسلمين ، والجماعات العاملة فى العالم الإسلامى ـ بأى طريق من طرق التخلص ـ ، ويسعده جداً أن يحيا المسلمون أفراداً لا تربطهم روابط ، أشتاتاً لا تنتظمهم جماعات ، مضطربين لا تنتظمهم وحدة فكرية ، متكلمين لا يدفعون يداً عنهم ، مكتفين بالاستنكار والاحتجاج . . وما أهون ! !

خُطُوطٌ عَمَلِيَّة

١- هذا الفتور:

ما أسبابه ؟

وما علاجه ؟

٢- أخلاقنا

٣- مناهجنا

من هذا العرض السريع نستطيع أن نرى بعض مظاهر نشاط الإخوان فى تجميع القوة الإسلامية ، وتوجيهها وجهة عملية منتجة ، ويف قوى التيار فاهتم به الاستعمار ، وكاد له مرة بعد مرة « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا »[1] .

وما أحرانا — فى هذه المرحلة من تاريخنا — أن نذكر واجبنا ، ونحاول تخطيط الطريق ، فلعل فى ذلك تبصرة وذكرى .

من المحتاج ؟

والسؤال الأول الذى ينبغى أن يوجهه كل منا إلى نفسه هو :

من المحتاج إلى الآخر : أنا أم الإسلام ؟

وقد يبدو الأمر بديهياً ، ولكن قد تمر على الإنسان فترة يحتاج فيها إلى مراجعة البديهيات فى أمر دينه .

والله سبحانه وتعالى وضح هذا الأمر فى كتابه العزيز فقال موجهاً الخطاب إلى نفر من أصحاب النبي عليه السلام : « يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شىء قدير »[2] .

---

(١) البقرة : ٢١٧ .

(٢) التوبة : ٣٨ ـ ٣٩ .

وفى آية أخرى يقول ربنا عن البذل والإنفاق : « هأنتم هؤلاء تُدعوْن لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوْا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »(١) .

الافتقار إلى الله :

فإذا سرى هـذا فى نفوسنا ، وتذكرنا دائماً أن لله عباداً غيرنا وليس لنا رب سواه ؛ قوى إحساسنا بالافتقار إلى الله ، وطال وقوفنا بين يديه ، نسأله القوة والعون ، وفرغت نفوسنا من حب الدنيا وخوف الظالم ، والحرص على المنصب والجاه وتملق القادة والجماهير ، فإننا نؤمن أن أحـداً منا لا يدرى حين يُصبح هل يدركه المساء وحين يُمسى هل يدركه الصباح ، وأن الله قائم على كل نفس بما كسبت ومجازيها بما عملت .

هذا الافتقار إلى الله ليس أمراً سلبياً فى حياة الأفراد ، وإنما هو استغناء بالله عن سواه يدفع إلى العمل والإنتاج الخالص القوى ؛ الذى لا ترتفع إلى آفاقه رهبة ولا رغبة إلا لله وفيما عنده ، والناس من وراء ذلك تراب حىّ يسـير فوق تراب ميت ، فهل تحقق هذا فينا ؟

---

(١) محمد : ٣٨ .

١ ـ هذا الفتور

ما أسبابه ؟

واسمحوا لى أيها الإخوة أن أكون معكم فى هـذه الرسالة صريحاً إلى حد قد يؤلمكم ، ويضيق به بعضكم ، فمن الخير أن نتكاشف فذلك خير وأولى من ترك العلل تسرى فى الجسم دون تشخيص وعلاج .

إننى أرى أحياناً مظاهر الفتور تعرو بعض الذين يعملون فى الجماعة ، وينعكس على نشاطها العام : وأمام هذا تتشعب بنا السبل .

١ ـ فقد نحاول الآن التهرب من المشكلة أو تخفيف وقعها ، فنعتذر بمشكلات الحياة اليومية وضغط ظروف المعيشة ، وقلة الوقت الذى نستطيع أن نخصصه للعمل فى الجماعة ، وفى الوقت نفسه نحمّل المركز العام والإخوان (المسئولين) عبء الصغير والكبير ، ونسمع من هنا وهناك : نريد البرامج .. والكتائب .. أين الدعاة والخطباء ؟ وتعتمد الشعبة على المنطقة فتحول الخطاب إلى المكتب الإدارى الذى يؤشر بتحويله إلى المركز العام ، فيحوله إلى عدد محدود من الأفراد ؛ ترهقهم أعباء لا يمكن التغلب عليها إلا بالتعاون الصادق بين مجموعة أكبر عدداً ، وأعمق فهماً وأكثر تفرغاً .

٢ ـ وقد يكون فينا ـ كلنا أو معظمنا ـ الإقبال الحقيقى على العمل ، فننتزع أنفسنا من دوامة الأحداث اليومية ، ونقتطع من

وقتنا وقوّتنا ما ندعم به أمر ديننا ، ونحاول أن نصنع لعقيدتنا حاضراً كريماً يربطها بماض كريم فنرى العقبات التى بين أيدينا معالم الطريق الذى نجتاز ، مستمدين العون من الله ، وقد اعتصمنا بالعزائم ولم نعتذر بالترخص ، وننسق جهودنا على أساس سليم ، وبأسلوب محكم يحقق لنا أهدافنا .

ومع أننا جميعاً نحب الطريق الثانية ، ونهتف لها إذا سمعناها حديثاً من خطيب ، أو قرأناها مقالا لكاتب ، إلا إن أمر التطبيق يحتاج منا إلى عزائم لا تعرف الضعف ، وصبر لا يعرف الملل .

وأود أن أتناول قضية « الفتور » هذه تناولاً موضوعياً ، ونحاول بعد التشخيص أن نصل إلى المخرج السليم مهما بدا طريقه صعباً طويلا ، فالمهم أن نسير على صواب ؛ ليصل الإسلام إلى غايته لا أن تصل ذواتنا ، ولا يستطيع عاقل أن يقول إننا فى طرفة عين نستطيع أن نصنع الكثير ، فليست بين أيدينا عصا موسى نضرب بها الحجر فيتفجر منه الماء ، أو نشير بها إلى الماء فيصبح طريقاً يبساً ! !

١ ـــ الفهم :

ولعل أهم الأسباب التى تؤدى بالفرد إلى الفتور عدم فهم الدين نفسه ، وقد يبدو هـذا غريباً أول الأمر ، ولـكن الأغرب منه أن نتصور مسلماً ذاق حلاوة الإيمان ، وفهم دينه فهماً صحيحاً ، ثم ينصرف عن العمل فى ميدانه ، وأقصد هنا الفهم المعتمد على الكتاب

والسنة ، والذى يستطيع أن يقيم فى ذهن الأخ المعالم الرئيسية للحياة الإنسانية كما يريدها الإسلام .

إن الإنسان إذا اتضحت أمام ذهنه هـذه الحقائق صعب عليه - أو استحال - أن يحيا دون إسلام ، ووجد نفسه مدفوعاً - بصدق - إلى البحث عن المجموعات العاملة فى هذا الميدان يهتدى بهداهم ، ويصلح أخطاءهم ، ويتعاون معهم على الوصول إلى الحق .

ويتصل بأمر الفهم أيضاً ما يصيب الأخ من « ملال » من كثرة ما يسمع من حديث مكرر فى الاجتماعات والحفلات والمؤتمرات ، فيحس أنه يعيش فى دائرة ضيقة لا تتسع ، وأنه يدور فى حلقة مفرغة ، وقد تكفيه هـذه الأحاديث سـنة أو أكثر أو أقل ، ولـكنها - وحدها - لا تكفى أن تظل مادة فـكرة بعد وقت طويل .

والأخ فى هذه المرحلة على مفرق طرق :

(ا) إما أن يتولاه السأم من أمره وممن حوله ، فلا يواظب على حضور المحاضرات والـكتائب والأسر ، وتتراخى صلته بإخوانه ثم تقل وقد تنقطع .

(ب) وإما أن يكون أخاً يقظاً ؛ لا يعتمد على ما يسمع فحسب ، ولـكن على تحصيله ، فتتفتح أمامه - بجهوده - أبواب من المعرفة الإسلامية تزيده إيماناً بما يؤمن به ، واستمساكا بالحق الذى يعيش به وله . . هذا إذا كانت صلته بالمصادر الأصليه الصحيحة ، وقد يقع فى

أسـر بعض الـكتب التى تصور الإسلام تصويراً مشوهاً ، فيكون من وراء ذلك خطر على نفسه وعلى من يتصل بهم ويؤثر فيهم .

والقراءة ـ من ناحيـة أخرى ـ قد تستولى على معظم وقت الأخ وتفكيره ، فتحول دون اتصاله المنظم بإخوانه ، ويتحول نشاطه إلى تكوين نفسه والعناية بها ؛ عناية قد تصرفه عن مساعدة إخوانه ، والأخذ بيد البادئ والتعاون مع الزميل والاسترشاد برأى الـكبير .

ويصل أحياناً إلى مرحلة يكاد يكون من الصعب فيها التمييز الدقيق بين التكوين الفردى من ناحية ، والترف العقلى وإيثار الراحة بين الـكتب والأهل من ناحية أخرى ، وفى هذا يحتاج الأخ إلى مراجعة تصرفاته وتنظيم وقته ؛ ليستطيع إيجاد توازن بين التكوين والعمل فى المجموعة .

والمفروض أن تكون الجماعة ـ بأنظمتها ـ بيئة صالحة يتعاون فيها أفراد يحاولون أن يتخذوا إلى ربهم سبيلا ، وهى حقل يغرسون فيه بذور الإسلام ويتعهدونها حتى تثمر ، فيزداد يقينهم بصلاحيتها أساساً للحياة . فهل يستطيع إخوان الأسر أن يكوّنوا هذه البيئة الصالحة ؟ . .

٢ ــ بروق المطامع :

وقد يُقبل الأخ على العمل لدينه ، ويستشعر الأنس بنماذج تعمل معه فى الميدان ؛ ويسمع عن فلان وفلان . . هذا خطيب . . وهذا

كاتب . . وهذا مسئول . . ويراهم على المنابر يرسلون الصواعق ، أو ينقلونه إلى جو هادئ جميل ، وتمر الأيام والشهور والأعوام فإذا به يزداد اتصالا بهم ، ويبدأ فى إدراك بعض الحقائق المرة ، ويرى بعض من كان يثق فيهم ذواتاً تضطرب فى نفوسهم نوازع الدنيا ، ويحس الفارق الضخم بين أقوالهم وأفعالهم فيُفجع ! ، ويزداد إحساسه بالفجيعة كلما كان أصفى قلباً وأطهر معدناً وأشد اندفاعاً ، وتضيق نفسه ... وتضيق ! ويفضل أن ينصرف عن إخوانه إلى حياته الخاصة يدبر أمرها دون أن يتحمل تبعة عابث أو منافق عليم اللسان ! !

٣ ـ الأمجاد والمشكلات :

وناحية أخرى تمتص حيويتنا امتصاصاً رهيباً ، وهى إضاعة الوقت فى الحديث عن أمجاد الجماعة ومشكلاتها ، وأود ألا تعجبوا من وضع الأمجاد والمشكلات فى قائمة واحدة ؛ فكلاهما حديث عن الماضى يستهلك ما بين أيدينا فيما خلفنا . ولا أود أيها الإخوة أن أحجر على عقولكم ، فإن هذا لا يقول به عاقل ، وإنما أود ـ فى هذه السطور ـ أن أتحدث عن الأثر الضار الذى تركه هذا الأسلوب فى حياتنا ، فانصرفنا عن بناء الحاضر والتمهيد للمستقبل إلى أسلوب انطوائى يحيا فى الماضى بخيره وشره .

وسلوا أنفسكم كم أضعتم من شهور وشهور فى أحاديث تنتقدون

بها أنفسكم وغيركم ؛ يخرج منها الأخ ثقيل النفس ضيق الصدر ، وقد ألقى بين عينيه ستار جعل المستقبل أمامه مظلماً مرهق الوحشـة . والتراجمة الذين يقفون أمام الآثار ؛ يتحدثون عن المجـد القديم لا يقدمون إلى المستقبل شيئاً ، والخطباء الذين يتألمون من خطأ قائم لا يقدمون إلى المستقبل شيئاً ؛ إنما يخط طريق المستقبل من يعرفون ماضيهم وحاضرهم ، ثم ينتقلون فى سرعة وإحكام إلى وضع الخطوط العملية التى تتحول بها العبرة والتجربة إلى مشروع متكامل يبرز من بعد حضارة واضحة المعالم ، سليمة الأسس والأهداف .

نحو العـــلاج

١ – صححوا الفكرة والأسلوب :

(ا) وأول شيء – وأعلاه – يجب أن نبدأ به إذا أردنا أن نسير سيراً سليما إلى الغاية التي رسمها لنا ربنا أن نصحح أفكارنا وأعمالنا على هدى الكتاب والسنة ، ونحاول تطهيرها من الزيغ والهوى ، فلا شك في أن مجتمعاتنا بعدت كثيراً عن الإسلام ؛ وأخطر من هذا البعد ، عدم الاعتراف به أو التهوين من شأنه .

ولقد حدّث الزهري أنه دخل على أنس بن مالك رضى الله عنه بدمشق وهو وحده يبكي فقال « ما يبكيك ؟ » قال « لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضُيِّعَتْ !! »[1].

(ب) وفي هذا علينا أن نتحرى وجه الحق دون الناس ، فقد ينفر الحق بحرارته أناساً ، والنبي عليه السلام حذرنا من الخضوع لتأثير الناس عندما سئل عن الشهوة الخفية فقال « هو الرجل يتعلم العلم يحب أن يُجلس إليه »[2].

(ج) فإذا سلمت لنا نياتنا واتضحت فكرتنا ، كانت مراجعتنا دقيقة شاملة لا تهتم بجانب دون آخر أو على حسابه ؛ فكثيراً ما يؤدي

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ : ص ٢٠٠ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١ ص ١٩ عن يزيد بن أبي حبيب .

الاهتمام بناحية - أية ناحية - على حساب الفهم الكلى إلى الانحراف عن الطريق السوى ، ولعل هذا من أكبر أسباب نشوء الفرق الإسلامية .

(د) فصححوا عقائدكم ، والزموا سنة الدين ، واعتمدوا على النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجردوا قصدكم لله فيما تقولون ؛ لتلقَوْا من الله التسديد كما قال عز وجل « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » (١). ووثقوا صلتكم بالعربية حتى لا تلتبس عليكم وجوه الكلام (٢).

(هـ) واحذروا القول بآرائكم دون سند من كتاب أو سنة ، ولقد وضح عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الظاهرة فقال « أصبح أهل الرأى أعداء السنة ؛ أعيتهم أن يحفظوها ، وتفلتت منهم أن يعوها ، واستحيَوْا حين سئلوا أن يقولوا لا نعلم ، فعارضوا السنة برأيهم ، فإياكم وإياهم » (٣).

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال :

---

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) باختصار من السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ١٧٦ (آداب المفسر) .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ١٣٥ .

« وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله : كأنه موعظة مودّع فأوصنا . قال « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمّر عليكم عبد ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة »[1] .

٢ ـ فلنصارح أنفسنا :

(أ) من الخير أن نعترف أن صلة الكثيرين منا بكتاب الله ، لا زالت محدودة ضيقة ، نقنع بقراءة الورد اليومى ، وقد لا نكلف أنفسنا عناء مراجعة المفردات أو قراءة تفسير مأثور قراءة منتظمة ، فاحصة بتوجيه سليم ، ونحاول أن (نجتهد) فى استخراج المعانى دون أن تكون بين أيدينا أدوات الفهم الصحيح ، وكثيراً ما نكتفى بآيات (مختارة) من القرآن لعلها تمثل ناحية أو أكثر من نواحى الإسلام دون تصوير شامل لما يجب على المسلم أن يفهمه ويؤمن به ويعمل له .

نحن محتاجون ـ خصوصاً شبابنا المتعلم ـ إلى أن نرتب لأنفسنا دراسة منظمة طويلة الأمد ، واضحة الهدف ، تخرج جيلا من الذين يفهمون دينهم فهماً صحيحاً . وفرق كبير بين أن نجعل محور دراستنا

---

(١) الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٤٢ رواه أبو داود .

اختيار الآيات (المؤثرة ! !) والتفسيرات (الفنيـة ! !) نزين بها الخطب ، وننعش بها الحفلات ! وبين الدراسـة الممتعة التي تحتاج إلى عناء وسهر وتكامل ، لا تستهدف إلا استنقاذ النفس من الجهل وغضب الله دون اهتمام بما يرضى (الجمهور) ، ولعل هذا هو الفرق الدقيق بين تملق الجموع والعمل الخالص لوجه الله تعالى .

(ب) ونحن كثيراً ما نهتف فى مجامعنا : القرآن دستورنا . . الرسول زعيمنا . . وأود أن يفرغ كل منكم إلى نفسـه حيث لا تطلع عليه إلا عين الله ، ويحاول أن يسألها ماذا أحفظ من كتاب الله ؟ ماذا أفهم مما أحفظ ؟ هل راجعت فهمى على كتاب التفسير المأثور والسنة المعتمدة ، أو جمعتـه من هنا وهناك ؟ هل عملت بما حققت ؟ كم مر من الشهور والأعوام دون أن أحفظ جديداً ، أو أفهم جديداً ، أو أطبق على حياتى جديداً ؟

هل أعظم جهدى موجه نحو جمع ما يرضى الناس ، أم للعبادة فى حياتى نصيب كريم ؟ هل حاولت استكمال نواحى النقص الفكرية والعملية فى حياتى أم قعدت بى همتى ؟

ولا شك فى أن الكثيرين منا سيحسون الهوان . . وكلنا مقصرون ولا شك . ولا يستثنى من التقصير أحد . . ذلك لأنى أود ألا نقيس أنفسنا بمن نعيش بينهم ، وإنما التأسى بالنبى صلى الله عليه

وسلم وأصحابه ، ومنهاجنا نأخذه من الأجيال المؤمنة التى جاهدت من أجل الاسلام فنشرته فى العالم ديناً ولغة وحضارة ودولة ، ندافع عنه بالفكر والسيف ، ونغذّيه بمداد العلماء ودم الشهداء .

٣ - طريق الحق :

ولا شك فى صعوبة هذه الطريق . . ولكن علينا أن نعمل ونصبر . . ولقد تعلم آباؤنا كيف يثبت الواحد منهم على الحق ولو خالف الناس جميعاً :

(١) قال عمرو بن ميمون الأودى :

صحبت معاذاً فى اليمن ، فما فارقته حتى واريته فى التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فسمعته يقول : عليكم بالجماعة ، فإن يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول : سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فصلوا الصلاة لميقاتها ، فهى الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة .

قال : قلت : يا أصحاب محمد ، ما أدرى ما تحدثونا ؟ قال : وما ذاك ؟

قلت : تأمرنى بالجماعة وتحضنى عليها ، ثم تقول صل الصلاة وحدك ، وهى الفريضة ، وصل مع الجماعة وهى نافلة ؟ ! قال : يا عمرو بن ميمون ، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية ، تدرى ما الجماعة ؟

قلت : لا . قال : إن جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة . الجماعة

ما وافق الحق ، وإن كنت وحدك[1] .

وفى طريق أخرى إن جمهور الناس فارقوا الجماعة ، وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل[2] .

(ب) وعن الحسن البصرى :

السُّنَّة - والذى لا إله إلا هو - بين الغالى والجافى . فاصبروا عليها رحمكم الله . فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقى ، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف فى أترافهم ولا مع أهل البدع فى بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربَّهم ، فكذلك إن شاء الله تكونوا[3] .

(ج) والنبى صلى الله عليه وسلم يرغبنا فى اتباع السنة ويحذرنا الأهواء ، والزيغ فى حديث رائع التصوير :

عن معاوية رضى الله عنه قال :

قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستَفترَّقُ على ثلاث وسبعين : ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة ، وإنه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله »[4]

(١ و ٢ و ٣) ابن القيم : إغاثة اللهفان ج ١ ص ٧٠ .

(٤) الترغيب والترهيب ج ١ ص ٤٨ رواه أبو داود .

(الـكـلـب داء يصيب الانسان إذا عضه كلب مصاب بهذا الداء) .

ومن السهل أن تتجارى الأهواء بصاحبها إذا لم تكن عنده حصانة من الفهم السليم لدينه ، وكيف طبقه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أنفسهم واتبعهم فى ذلك سلفنا الصالحون .



٢ ـ أخلاقنا

وعلى هذا الأساس أود ـ أيها الإخوة ـ أن نراجع معاً بعض أخلاقنا ـ والدين النصيحة ـ ولقد نقرأ فى كتاب الله كيف يعرض ربنا مشكلات المجتمع الإسلامى الأول فى مكة والمدينة ، ويعالجها فى وضوح لا لبس فيه ولا غموض ، والنبى صلى الله عليه وسلم يصف ديننا فيقول : « تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك »(١) .

كيف كانوا يتعاملون ؟ :

والذى ألاحظه فى أخلاقنا وعلاقاتنا ، أننا لا نعرف الاتزان الدقيق ، فإذا رضينا عن أحد رفعناه إلى السماء ، وإذا كرهناه هبطنا به إلى أسفل سافلين ، ونسأل الأخ عن ذلك فيقول لك (الإيمان حب وبغض ! !) والفهم الأبتر لهذه الكليات يوقعنا فى كثير من الخطأ ، ونحن كثيراً ما نكتفى بأشتات من المعرفة الإسلامية ـ نجمعها من الحفلات والقراءات السريعة ـ لا تصلح بحال لتكوين فكرة سليمة عن الإسلام :

(ا) ولعل من أكرم صور الاتزان فى الحكم وبعد الأفق

---

(١) المنذرى الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٥٢ رواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة عن العرباض بن سارية .

وشمول النظرة ، ما قاله أبو داود عن عمر بن أبى قُرة قال :

كان حذيفة بالمدائن يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأناس من أصحابه فى الغضب ، فينطلق ناس ممن سمع ذلك من حذيفة ، فيأتون سلمان الفارسى رضى الله عنهما فيذكرون ذلك له . فيقول : حذيفة أعلم بما يقول . فيرجعون إلى حذيفة فيقولون له : قد ذكرنا قولك لسلمان ، فما صدقك ولا كذبك . فأتى حذيفة سلمان رضى الله عنهما . فقال : ما يمنعك أن تصدقنى فيما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال سلمان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغضب فيقول فى الغضب ، ويرضى فيقول فى الرضا . ثم قال : يا حذيفة ! أما تنتهى حتى تورث رجالا حب رجال ، ورجالا بغض رجال ، وحتى توقع اختلافاً وفرقة ؟ ! ولقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « اللهم إنى أتخذ عندك عهدك ، أيما رجل من أمتى سببته سُبّة أو لعنته لعنة فى غضبى فإنما أنا من ولد آدم ، أغضب كما يغضبون وإنما بعثتنى رحمة للعالمين — فاجعلها عليهم صلاة يوم القيامة » . والله لتنتهين يا حذيفة ، أو لأكتبن إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه(١) .

(ب) وأخرج أبو داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغنى أحد عن أحد

---

(١) تيسير الوصول جـ ٤ ص ٢٤

من أصحابى شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر »[1] .

(ج) وعند ما شرح الإمام ابن كثير أحوال المنافقين فى المدينة فى سورة التوبة ، أورد قصة حرملة فى الحديث الذى يرويه أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن رجلا يقال له حرملة أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : الإيمان ههنا . وأشار بيده إلى لسانه ، والنفاق ههنا . وأشار بيده إلى قلبه ، ولم يذكر الله إلا قليلا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعل له لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً ، وارزقه حبي وحب من يحبنى ، وصير أمره إلى خير . فقال : يا رسول الله : إنه كان لى أصحاب من المنافقين وكنت رأساً منهم ، أفلا آتيك بهم ؟ قال : من أتانا استغفرنا له ، ومن أصر فالله أولى به ، ولا تخرقن على أحد ستراً »[2] .

(د) والله سبحانه وتعالى أمرنا فقال : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظنّ إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحمَ أخيه ميْتاً ؟ فكرهتموه . واتقوا الله إن الله توّاب رحيم »[3] .

---

(١) تيسير الوصول جـ ٣ ص ٢١٨

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٨٤ .

(٣) سورة الحجرات : ١٢ . أرجو أن يتدارس الإخوان تفسير سورة الحجرات من تفسير ابن كثير .

فكيف يستبيح بعضنا السعى بأخبار بعض ، وإشاعة السوء بين المؤمنين ، وتمضية الوقت فى الحديث عن فلان وفلان ؟ ! . .

وأنت إذا حدثك أحد إخوانك عن آخر بسوء ، فصارحه من أول الأمر بأنك تريد أن تجمع بينهما ، أو ليذهبا معاً إلى أخ يرضونه حكما ، ونقِّ مجلسك من سماع السوء وقوله ، وذكِّر نفسك ومحدثك بما جاء فى الكتاب والسنة عن ذلك . . أما أن يتسرب إلينا ما نهى الله عنه من الغيبة والنميمة والتجسس ، ويستباح باسم مصلحة الدعوة ! ! نهش لحوم الغائبين ، والخوض فى أقدارهم وأعراضهم ، وتجد النفوس الضعيفة ما تتزلف به تحت ستار الغيرة على الجماعة — فهذه أخلاق يبرأ منها الإسلام ولا يعرفها الرجال .

إن الله أنزل هذا الإسلام على الأمة العربية من أول الأمر واختارها لمزايا خاصة . وأنت تقول لمن يحدّثك « أعرِبْ عما فى نفسك » إذا أردت الإبانة والوضوح . . فهذه أمة وضوح ، وديننا دين وضوح ، لا يضل عنه إلا هالك .

والإسلام لا يعرف الأجواء ذات الأضواء والظلال ، والبسمة المنافقة والوعد الكاذب ، والشماتة فى المبتلى ، والتفاهة فى الصداقة والخصومة ، وإنما تبرز معادن الرجال فى المحن والضيق ، ويتجلى نبل الخلق حين يشتد الأمر ، ولا يستطيع الإمساك بالحق إلا أهله الأوفياء الذين يعملون بواضح الكتاب والسنة غير فاتنين ولا مفتونين .

لا عصبية :

ولا تستطيع جماعة أن تحيا دون أن يكون فى رجالها الجرأة على قول الحق ولو على أنفسهم ، واتباعه غير متأثرين بمنصب أو جاه أو عصبية عمياء .

فعن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : ما العصبية ؟ قال « أن تعين قومك على الظلم »[1] (أخرجه أبو داود)

ولا اتباع بغير دليل :

ونهانا ربنا عن أن يكون عملنا بغير دليل فقال : « ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »[2] وحذرنا سوء المصير فى قوله : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير »[3] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يكونَنّ أحدكم إمَّعة . قيل وما الإمعة ؟ قال : الذى يقول أنا مع

---

(١) تيسير الوصول حـ ٤ ص ٢٤ .

(٢) الإسراء : ٣٦ .

(٣) تبارك : ١٠ .

الناس »[١] وأعطانا ابن مسعود صـورة حسية لهذا النوع من الناس فقال «كنا نعد الإمعة فى الجاهلية الذى يتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى ، وإن الإمعة فيكم المحقِبُ الناسَ دينَـه »[٢].

القوة والحق :

وينبغى أن يربى شبابنا على ذلك من أول الأمر ، فنحن لا نريد جيلا من الأرقاء الذين ذابت شخصياتهم فى آلة ضخمة ، وإنما نريد المسلم القوى الذى يستطيع أن يكون دائماً نقطة بدء فى الوعى الإسلامى ، ويحافظ على حيويته ومقوماته ، ويهدف من تعاونه مع شخصيات قوية مثله إلى تكوين الجيل المسلم المرتجى الذى يعمل لدينه ، لا يستخفه انحراف ، ولا يقعد به عجز ، ولا يتلفه غرور .

وإليكم نماذج من تعاون الأقوياء ، وكيف عاشوا على الخلق العالى الذى عجزت عنه فتن الدنيا .

١ — جاء عُيَيْنَـة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبى بكر رضى الله عنه ، فقالا : يا خليفة رسول الله ، إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة فإن رأيت أن تعطيناها لعلنا نحرثها أو نزرعها ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم . فقال أبو بكر لمن حوله : ما ترونه فيما قالا ؟ قالوا : إن كانت أرضاً سبخة لا ينتفع بها فنرى أن تقطعها

(١ و ٢) راجع مادة (أَمَعَ) فى الفائق للزمخشرى ج ١ ص ٤٢
المحقب : المردف .

لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم . فأقطعهما إياها ، وكتب لهما بذلك كتاباً وأشهد - وعمر ليس فى القوم - فانطلقا إلى عمر يشهدانه فوجداه يهنأ بعيراً له ، فقالا : « إن أبا بكر يشهدك على ما فى هذا الكتاب فنقرأه عليك أو تقرأ ؟ قال : أنا على الحال التى تريانى . فإن شئتما فاقرءا وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ عليكما . قالا : لا . بل نقرأ ، فقرآه - فلما سمع ما فى الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل فيه فمحاه ، فتذمرا وقالا مقالة سيئة . فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل ، وإن الله عز وجل قد أعز الإسلام . إذهبا فاجهدا جهدكما لا رعى الله عليكما إن رعيتما . قال وأقبلا إلى أبى بكر وهما يتذمران فقالا : والله ما ندرى من الخليفة !! أنت أم عمر ؟ قال : بل هو لو كان شاء - قال : فجاء عمر وهو مغضب حتى وقف على أبى بكر ، فقال : أخبرنى عن هذه الأرض التى أقطعتها هذين . أرض هى لك خاصة ، أم بين المسلمين عامة ؟ قال : بل هى للمسلمين عامة . قال فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين ؟ قال : استشرت هؤلاء الذين حولى فأشاروا على بذلك . قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك ، أفكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضى ؟ قال أبو بكر : قد كنت قلت لك إنك أقوى على هذا منى ، لكنك غلبتنى(١).

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٣٢ ، ٣٣

٢ — واربطوا هذه القصة بموقف أبى بكر يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وموقفه فى بعث أسامة حين أرسلت الأنصار عمر إلى أبى بكر ليحبس الجيش أو ليولى عليهم رجلا أقدم سناً من أسامة . فقال أبو بكر : والله لو علمت أن السباع تجر برجلى إن لم أرده ما رددته ، ولا حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر : إن الأنصار أمرونى أن أبلغك ، وهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلا أقدم سناً من أسامة ؛ فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر ، فقال : ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ! استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنى أن أنزعه ؟

فخرج عمر إلى الناس ، فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : امضوا ثكلتكم أمهاتكم ، حسبى ما لقيت فى سبيلكم من خليفة رسول الله(١) .

٣ — ثم موقفه فى حروب الردة حين جاءه عمر يقول : تألف الناس وارفق بهم فقال أبو بكر : رجوت نصرتك ، وجئتنى بخذلانك !! أجبار فى الجاهلية وخوار فى الإسلام ؟ ! إنه قد انقطع الوحى وتم الدين أو ينقص وأنا حى ! !(٢) .

قال عمر رضى الله عنه : فما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر

---

(١) أبو بكر الصديق لعلى الطنطاوى ص ١٥٩ عن الطبرى .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٣ أخرجه النسائى .

أبى بكر للقتال حتى عرفت أنه الحق[1] .

فروضوا أنفسكم على قول الحق والخضوع له دائماً ، واعملوا بهذا فيما بينكم ، فإذا نجحتم فحاولوا أن تجمعوا عليه الناس .

الاستمرار :

(ا) ولقد لفتنا النبى صلى عليه وسلم إلى ظاهرة بشرية لها خطرها فى حياة الأفراد والجماعات ، ووضح لنا النهج السليم حيالها . .

فعن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لكل عمل شِرّة ، ولكل شِرّة فترة - فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك »[2] .

[الشِرّة : النشاط والهمة . وشِرّة الشباب : أوله وحدّته ، والفترة : الضعف والانكسار][3] .

وكثيراً ما نجد شبابنا مندفعاً إلى العمل فى الجماعة اندفاعاً شديداً ، ثم يتولاه بعدُ سأم وانصراف ، ولقد عالجت بعض أسباب هذا الانصراف فى الصفحات السابقة ، ولكن هذا الحديث يوضح القاعدة العامة ويبين أن الناس فى الفترة قسمان :

---

(١) أبو بكر الصديق لعلى الطنطاوى ص ١٦٤ فى الصحيحين .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ١ ص٥١ رواه ابن أبى عاصم وابن حبان .

(٣) الفائق للزمخشرى جـ ١ ص ٦٤٩ ، جـ ٢ ص ٢٤٧ .

١ — قسم إذا أرهقه العمل وضعف عنه ، انصرف عن النهج الذى كان عليه ، ومال إلى غير السنة . وفى هذا لا يعدم ما يبرر به ضعفه من أسباب ، ويحاول أن يثبت أى شىء إلا ضعفه ! ! . . ويلقى المسئولية على سواه ، وتجده دائماً يائساً يشيع اليأس فيمن حوله ، خواراً يشيع الاستكانة ، ويجسم أخطاء الناس ويهون أخطاء نفسه ، هذا إن اعترف بها !

٢ — وقسم يُقبل على دينه إقبالا قوياً ، فإذا فتر نشاطه فللاقتصاد ، ولئلا يوقعه الإفراط فى السأم ، فهذه الراحة محمودة .

ولذلك ينبغى أن نكون واضحين حين نفتر عن العمل فنسأل أنفسنا : هل هى فترة إلى السنة أو إلى غيرها ؟

(ب) ويرتبط بهذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « يأيها الناس : خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ؛ وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل »(١) .

(جـ) أما الذين يصطدمون فى الجماعة بما ينكرون ، فالإسلام يقتضيهم قول الحق ولو كان مرًّا ، يخاصمون به ويخضعون له ، ويتحملون تبعة ما يؤمنون به . وحين نتحقق بهذا الخلق نستطيع أن

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٥ ص ٨٨ جزء من حديث عن عائشة رضى الله عنها .

نقدم إلى الإسلام الكثير ، فسنكون عوناً لكل أخ على شيطانه ، وننهى عن المنكر ونأمر بالمعروف ، ولا نستخذى أمام كبير ، ولا نتجبر على ضعيف ، فتسلم لنا عقائدنا وقلوبنا ووحدتنا ، ولا يستطيع المنافق والمتزلف أن يجد مجاله بيننا ، ونتقى صنفاً من النفوس الضعيفة والأفئدة الهواء .



٣ — مناهجنا

قضايا كلية :

ويمكن – أيها الإخوة – أن تستحضروا فى أذهانكم ما تسمعونه فى الاجتماعات والحفلات والكثير مما تقرءون فى الرسائل المختصرة التى بين أيديكم ، فستجدونها جميعاً قضايا كلية لا تتدخل فى التفاصيل إلا بقدر محدود . والطابع الغالب على الفترة التى مضت من حياة الإخوان كان جمع الناس على هذه الكليات ، وتوجيههم نحو التطبيق العملى ، ولذلك فائدته فى إيجاد تناسق فكرى بين العاملين ، والخروج بالمسلمين من مجال اللسان وحده إلى نواح من الحياة العملية ظلت فترة طويلة بعيدة عن واقع حياتهم .

ولكنها لا تكفى :

١ – وليس من المعقول أن تظل الجماعة حية فى هذه الدائرة المحدودة . . فهذا إن صح فلن يكون إلا على الصورة الآتية :

أن يحترف أفرادٌ التبشير بهذه الكليات مع خلاف طفيف فيما يقولون .. ويظل واحدهم ينتقل بها فى القطر من أقصاه إلى أقصاه ، وقد يضيف فى رحلته إلى محصوله مجموعة من الأحاديث والشروح والقصص تحدث نوعاً من اليقظة الوقتية ، لاتلبث أن تنطفىء . وذلك لأنها غير مؤسسة على منهج متكامل . ويمثل هؤلاء الدعاة — إلى حد

كبير — مظاهر (الثبات) فى حياة الجماعـة ، بينما يتلقون كل عام أفواجاً ، أخشى أن أقول إن عدداً غير قليل منهم لا يستقر فى الجماعة ، وذلك لأننا حتى الآن - لأسباب كثيرة : بعضها يتصل بنا وبعضها لا يد لنا فيه — لم نستطع أن نكوّن البيئات المستقرة التى ينمو فيها الإخوان نمواً متكاملا .

٢ — وهذا المظهر من التلقى والانصراف يؤثر تأثيراً عميقاً على حياة الجماعة . . فسيظل جهد المسئولين موجهاً — إلى حد كبير — نحو رعاية المقبلين الجدد ، وتحويل عدد منهم إلى (نقباء) يرعون إخوانهم من ورائهم ؛ مع أن من أدقّ موازين نجاح الجماعة أن تكون قادرة على الاحتفاظ بأبنائها وإتاحة الفرص لنمو مواهبهم ، وتوسيع مداركهم ؛ ليصبحوا طاقات وعقولا يمكن أن تخدم العقيدة ، وتتحول الجماعة — بذلك — من كائن بسيط تستطيع الخلية الواحدة فيه أن تقوم بكل الوظائف الحيوية إلى كائن نامٍ متعـدد الأجهزة واضح الهدف .

خطوة واجبة :

١ — لذلك لا بد من أن تتخذ كل الأسباب الممكنة حتى تخطو الجماعة هذه الخطوة ، فتنتقل من الحديث عن الكليات والعموميات إلى الدخول فى التفاصيل ، وليس هذا الأمر يسيراً يستطيع أن يقول

فيه من شاء ما شاء . . فلا بد من دراسة عميقة سليمة لمصادر الاسلام من الكتاب والسنة وهدى سلفنا الصالحين ، ومن دراسة عميقة للمجتمعات الإسلامية ومشكلاتها ، وتكوين شخصيات لا تستهدف إلا ما عند الله ، وهذه الشخصيات تستطيع تشخيص المرض وتحديد الدواء ، ثم الإشراف على العلاج ، وإعلانه بين الناس .

٢ — وليس فى الأرض دولة تستطيع أن تقول إنها الصورة التطبيقية لما جاء به الاسلام ، وفى هذا يجد دعاة الإسلام عنتاً كبيراً ؛ فدعاة الشيوعية وراءهم روسيا ومجموعة ضخمة من الدول تدور فى فلكها ، وحروب دامية بذلت فيها الأموال والأرواح امتدت من ثلوج الشمال إلى الغابات الحارة . . . ودعاة الغرب وراءهم أمريكا وبريطانيا ودول كثيرة يجمعها القيد الذهبى ، ويقف الإسلام فريداً فى معركة المبادئ معتمداً على إيمان المؤمنين .

فلا أقل من أن نقيم فى عالم الفكر صورة الإسلام الذى نريد ، ونحاول أن نجمع الناس على تصور عقلى ، ونقدم لهم كتابةً حلول مشكلاتهم .

٣ — فإذا عجزنا عن إقامة هذه الصورة الفكرية ، فنحن عن التطبيق أعجز ، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه .

إن الذين يعملون فى الجماعة آمنوا بكليات الإسلام ، فلا حاجة إلى

تكرارها لقوم يؤمنون بها . فلنحفظ هذه الخطوة للاسلام . . ولنا . . وللناس .

٤ ـ وأحس إحساساً ـ يصل فى نفسى إلى مرتبة اليقين ـ أن هذه الخطوة من أقسى الامتحانات التى تواجه الجماعة ، وبها سيتقرر فى وضوح ما إذا كنا نستطيع أن نحتفظ بشباب الإخوان للاسلام أم سيتسرب هذا الشباب كالماء من بين أصابع الجماعة .

علاقة هذه الخطوة بمشكلاتنا :

١ ـ وأحياناً أسائل نفسى :

لماذا لم نخط هذه الخطوة ؟ ولماذا لم يكتب لمناهجنا التربوية أن تستمر وقتاً طويلا ؟

وأجلس إلى إخوانى فأجد حديثاً عن الماضى والمستقبل ، وألماً من حاضر ، وتوجساً من أخ عامل ، وتستهلك هذه الجلسات من حيوية الإخوان الشىء الكثير .. فهل نحن نقبل عليها لأنها لا تكلفنا جهداً بينما تجعلنا نحس أننا بذلنا فى الجماعة جهداً ؟ خاطر أرجو أن تفكروا فيه ، فلعلنا آثرنا هذا الشبع الكاذب على العمل الجاد ، وأضعنا الوقت تهرباً من تبعات ثقيلة نجد بأساً فى عملها .

ولا شك أن حالة الفراغ النسبي هذة تؤدى وحدها إلى مشكلات ، وتفرخ فينا الفتن ، وتتحول طاقات الأفراد إلى تفاهات لا تجدى ،

يظنونها تقريراً لمصير الجماعة ، وتخطيطاً لمراحل سيرها .

٢ — وراجعوا تاريخكم تجدوا واقعة ترجح هذه النظرية :

(ا) فقد كانت لنا موجة نشاط فى معركة فلسطين بين عامى ١٩٣٦ — ١٩٣٨ م ، وما كادت تنتهى موجة النشاط حتى انصرفنا إلى مشكلاتنا ، وانتهى الأمر بخروج مجموعة من الصف الأول فى الجماعة كونوا جماعة شباب محمد .

(ب) واشتد علينا الضغط فى أوائل الحرب العالمية الثانية وأغلقت شعب الإخوان ، وأقبل الناس علينا ، وما كادت تنتهى الحرب حتى انصرفنا إلى مشكلاتنا ، وفصل من الاخوان الوكيل الأول والثانى ونفر من أعضاء الهيئة التأسيسية .

(ج) ورحمنا ربنا بحملة فلسطين ، فاتجهت إليها الجهود ، ثم فتحت لنا المعتقلات والسجون أبوابها ، وما كدنا نخرج منها حتى شغلتنا معركة القنال ، وفرغنا من معركة القنال لنلتفت إلى مشكلاتنا الداخلية ، وانتهى الأمر — كما سبق — بفصل مجموعة من الصف الأول من الجماعة .

ونستطيع أن نتلمس أسباباً لكل حالة من هذه الحالات إذا أردنا ، ولكن لماذا أتت جميعاً على هذا النسق ؟ هل لهذا علاقة بالحديث الشريف الذى مر ذكره : « إن لكل شرة فترة » ؟ !

وهل نحن جميعاً ضحايا أوضاع ينبغي أن نحرر الجماعة من أسرها ؟
وهل نحن نشغل أنفسنا بهذه المشكلات لأننا لا نقدر على غيرها ؟

٣ — ولكم أن تتابعوا الأمر دراسة : فهذه الظروف التي جمعت صفنا من معارك فلسطين والقنال وظروف الحرب ، لم تكن كلها من صنع أيدينا وإرادتنا ؛ أي أنها — إلى حد كبير — كانت مفروضة علينا ، وهي التي ارتفعت فيها أسهم الإخوان ودوى اسمهم في العالم. بينما المشكلات من صنع أيدينا ، وهي التي أرهقتنا من أمرنا عسراً ، من هذا كله أحس — أيها الإخوة — أن من الواجب علينا — إذا أردنا الحياة — أن نوجد المجال الحيوي الصالح لكل من يعمل في الجماعة ، وبذلك نصبح مجموعة من العاملين الذين إذا التقوا تحدثوا عن عمل ، وإذا انصرفوا فإلى عمل ؛ فلعل أمة تتكون منا يهدون بالحق وبه يعدلون .

التربية المتكاملة :

وحين يصبح هـذا منهاجنا الحيوي ؛ سنحدد نظرتنا إلى الناس ونزنهم بميزان دقيق ، ونراجع القيم التي نعيش بها مراجعة لا يرجح فيها إلا الحق ، ولا نسمح بالتقدم في صفوف الجماعة وتحمل مسئولياتها إلا لمن يعبر عن دينه تعبيراً صادقاً في فهمه وعلمه وعمله ، وتاريخنا حافل بهذه النماذج المتكاملة :

١ – فلقد كان سالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنهم – من أحسن الناس صوتاً بالقرآن . فعن عائشة رضى الله عنها قالت « استبطأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال ما حبسك ؟ قلت : إن فى المسجد لأحسنَ من سمعت صوتاً بالقرآن ، فأخذ رداءه ، وخرج يسمعه ، فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة . فقال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك »(١) .

هذا القارىء الممتاز كان عتيقاً . وآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى عبيدة عامر بن الجراح أمير هذه الأمة . ويروى الواقدى عنه : « لما انكشف المسلمون يوم اليمامة قال سالم مولى أبى حذيفة : ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفر لنفسه حفرة فقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ ، ثم قاتل حتى قتل شهيداً سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، فعل هذا بعد أن شهد بدراً والمشاهد »(٢) .

٢ — ويروى الذهبى عن الصحابى الجليــل شقيق أبى وائل رضى الله عنه : « كان . . . إذا خلا ينشج (يبكى بصوت وتوجع) ولو جُعل له الدنيا على أن يفعل ذلك وأحد يراه لم يفعل ، وكان له خُصٌّ يكون فيه هو وفرسه ، فإذا غزا نقضه ، وإذا رجع بناه »(٣) .

فهنا نجد طاقة رائعة من العبادة والعكوف على كتاب الله ، والجهاد

(١و٢) تاريخ الذهبى ج ١ ص ٥ — ٣٦٦ .

(٣) نفس المرجع ج ٢ ص ٢٥٦ .

العنيف المرهق . ولم يحاول هذا الجيل ــ وحاشاه أن يفعل ــ أن يوفر جهوده على القرآن دون جهاد أو يكتفى بالجهاد دون علم ، وإنما أخذ الإسلام ــ كما تلقاه ــ كلاً لا يتجزأ ، ووجدت روحه القوية مجالاتها فى المحراب والميدان معاً .

٣ ــ هذه الأرواح القوية ، والتربية الناضجة ، دفعت آباءنا إلى التجرد لأمر الدين ، فصاغوا حياتهم على أساسه ، وتوفروا على خدمته والدفاع عنه ، ولم يرضوا بأنصاف الحلول وأرباعها ، أو تغيير حكم من أحكام الله أو كتم ما يعتقدون أنه الحق .

ومن الأمثلة الكريمة على ذلك ما رواه ابن كثير[١] عن العالم الجليل أحمد بن نصر وموقفه فى محنة خلق القرآن أمام الواثق الخليفة العباسى . . « وكان أحمد ممن يدعون إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق[٢] . وكان الواثق من أشد الناس فى القول بخلق القرآن . فقام أحمد يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد ، والتف عليه ألوف ، وانتظمت له البيعة فى السر على القيام بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعندما افتضح أمره استدعاه الواثق . . وكان أحمد قد استقتل وباع

(١) البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٣٠٣ ــ ٣٠٦ .

(٢) وهى عقيدة سلفنا الصالحين وأهل السنة والجماعة .

نفسه وحضر وقد تحنط وتنوّر (تطيب استعداداً للموت) وشد على عورته ما يسترها . وسأله الواثق : ما تقول فى ربك ، أتراه يوم القيامة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد جاء القرآن والأخبار بذلك : قال الله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » وسأله : ماتقول فى القرآن ؟ فقال : هو كلام الله . قال : أمخلوق هو ؟ قال هو كلام الله ، وتدفق أحمد بن نصر فى هذا الموقف الرهيب بين السيف والنطع يتلو الآية بعد الآية ، والحديث بعد الحديث ، وتكاتف عليه علماء الخليفة يحرضونه على العالم الأعزل . وهوى سيف الواثق على رأس أحمد وهو يردد كلمة التوحيد ، وقال عنه الإمام الجليل أحمد بن حنبل رحمه الله : « ما كان أسخاه بنفسه لله . لقد جاد بنفسه له ! ! » .

٤ — ومر أحمد بن حنبل فى هذه المحنة : دعوه إلى القول بخلق القرآن ، وأمر المأمون بإحضاره ، فلما اقتربوا من جيش الخليفة ، جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول : يعزّ علىّ يا أبا عبد الله أن المأمون قد سلّ سيفاً لم يسلّه قبل ذلك ، وإنه يقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف . قال : فجثا أحمد على ركبتيه ، ورمق بطرفه إلى السماء ، وقال : سيدى ! غرّ حلمُك هذا الفاجرَ حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم فإن يكن القرآن كلامك

غير مخلوق فا كفنا مؤنتـه . قال : فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل . قال أحمد : ففرحنا » .

وسجن أحمد فى زمن المعتصم وأحضروه وقد زادوا قيوده . قال أحمد : فلم أستطع أن أمشى بها ، فربطتها فى التـكة ، وحملتها بيدى . ثم جاءونى بدابة فحملت عليها . فـكدت أسقط على وجهى من ثقل القيود ، وليس معى أحد يمسكنى ! وبات أحمد فى المحبس ثم أحضروه إلى الواثق ، وناظر من عنده من العلماء ثلاثة أيام يقيم عليهم الحجة ، ولا يتزحزح عن موقفه ، حاملا علمه فى صدره ، متمكناً من الـكتاب والسنة ، غير كاتم شيئاً رغبة أو رهبة . . . وأخيراً جاءوا الخليفة من ناحية السياسة العامة ، فقالوا له « ليس من تدبير الخلافة أن تخلى سبيله ويغلب خليفتين » !!! وأخذوا أحمد وجرّدوه من ثوبه وضربوه بالسياط حتى أغمى عليه مراراً وحملوه مغشياً عليه بعد ضرب مرهق ! حدث هذا وهو صائم فأصرّ على إكمال يومه صائماً ، وصلى فى دمه . ومضت فترة ، وقام أحمد من مرضه وصفح عمن آذاه إلا أهل البدع . وكان يقول : «ماذا ينفعك أن يعذَّب أخوك المسلم بسببك ؟!» ورحم الله بشراً الحافى فى تعقيبه على المحنـة إذ يقول « أدخل أحمد الـكير فخرج ذهباً أحمر »(١)

---

(١) ابن كثير — البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٣٢٥ — ٣٤٢ .

هذه النفوس - أيها الإخوة — ثمار تربيـة كريمة على هدى الـكتاب والسنة ، تملقها السلطان فما لانت ، واشتد عليها البطش ، فما وهنت وما ضعفت ، وجمعت من العلم الـكثير ، ورضيت من الدنيا القليل ، وعبدت ربها بالدعوة إليه والجهاد فى سبيله والدفاع عن دينه ، وعاشت بخلق أبىّ لم تستطع الشهوات أيا كانت أن تعلوه .

فهل تستطيع مناهجنا أن تستهدف هذه الغاية ، وأن توجد الجيل المسلم الذى يعرف الحق ويتبعه ، ويقول للمحسن أحسنت وللمسىء أسأت ، وهذا طريق الإحسان ؛ لا يسيل لعابه إذا رأى الذهب ، ولا يضطرب إذا رأى السيف ؟ ؟

نحن محتاجون إلى هـذا المنهج المتكامل الذى ينتزعنا من خمول يمتص حيويتنا ، وكسل يشل جهودنا ، وتواكل يكاد يدمر حاضرنا ، وتفاهات توشك أن تأتى على كل ما بناه العاملون .

عقلية المناظرات :

١ — وأحياناً يحلو لبعض الذين يعملون أن يقارنوا بين نواحى العمل وأهميتها النسبية ، ويتساءلون : أيهما أولى بالاهتمام : الجهاد أم العلم ؟

وكأنه لا يجاهد إلا الجهلاء ، ولا يتعلم إلا الجبناء ، ولا يجمع بينهما أحد ! !

٢ — واسمحوا لى — أيها الإخوة — أن أناقش هذا الأسلوب من التفكير ، فلعلنا ورثناه عن شبابنا المبكر حينما كنا نؤمر بكتابة موضوعات إنشائية فى مدارسنا تقوم على المفاضلة ، مثل : أيهما أكثر تأثيراً فى الأمة : رجال العلم أم رجال الأدب ؟ ، أيهما أكثر تأثيراً فى الطفل : أمه أم أبوه ؟ ورسب هـذا الأسلوب فى عقولنا مدة حتى عملنا فى الإخوان فجاء يفرض نفسه علينا مرة أخرى لنجرى مناظرة بين الجهاد والعلم .

٣ — وما أود أن يتعصب كل منا لناحية عاش فيها أكثر من غيرها ، فأصبح لا يرى الدنيا إلا بمنظارها . فهذا باب خطر يؤدى إلى فرقة ولا ينفع فى حله جلسات الصلح الشكلى الذى لا يتناول جوهر المسائل .

فطلب العلم والجهاد فرائض لا يجارى فيها مسلم سلم له دينه ، وينبغى علينا أن نؤمن بالإسلام كلاً لا يتجزأ ، وأن نعد أنفسنا فندفع عن ديننا بالعلم والعمل .

٤ — ولكن الأفراد حين يعملون يحسون أنهم يستطيعون خدمة دينهم فى ناحية أكثر من أخرى دون انحراف عن الفهم الكلى أو مبالغة فى أهمية الثغرة التى يقفون عليها أو تهوين من ثغرة لا يتصلون بها . وعلى هـذا عاش أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : اتضحت فى نفوسهم أصول الدين وقواعده ، وطبقوا أمره على نواحى

حياتهم ، وعبـدوا ربهم فى جوف الليل ووضح النهار . . وسالت دموعهم من خشية الله ، واقتحموا غبار المواقع ، ووجد كل منهم مجالا برزت فيه مواهبه : فخالد فى القيادة ، وأبو هريرة فى الحديث ، ومعاذ فى الفرائض ، وأبى بن كعب فى القرآن ، وتميز منهم أفراد موهوبون فى أكثر من مجال ، كأبى بكر فى الأنساب والإدارة ، وعلىّ فى الحرب واللغة . وما نعرف أنهم كانوا يتناظرون فى أهمية القيادة بالنسبة إلى الحديث والفرائض والتلاوة ؟ !

٥ — فلنحاول — أيها الإخوة — حين نعمل ، أن نحرر عقولنا من هذه القيود الفكرية ، وأن نكوّن لأنفسنا منطقاً إسـلامياً سليما يتصل اتصالا مباشراً بالعهـد الزاهر الأول الذى كشف فيه وجه الصحراء عن عبقريات كان الإسلام أصلح تربة لإنباتها .

وبعد :...

فهذه خطوط عامة مجملة ، قد يكون فيها الـكثير من الحق المر والعمل المرهق . . فإن يكن فيها خير فمن الله ، وإن يكن غير ذلك فمنى ومن الشيطان . .

وستأتى بعدها رسائل يتناول فيها قسم الأسر هذه الموضوعات بكثير من التفصيل .

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا »

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »

الفهرس

مطبوعات قسم الأسر

* الرسالة الأولى : نظام الأسر : نشأته وأهدافه
(نفدت)

* الرسالة الثانية : من آداب الأسرة والكتيبة
(نفدت)

* الرسالة الثالثة : نحو جيل مسلم
(بين يديكم)

* الرسالة الرابعة : ؟ ؟ ؟
(تصدر قريباً)

DATE DUE

